

في معرض تفسيره لمفهوم المشرقيين الوارد في آيتين مختلفتين من القرآن هما: (رَبُّ الْمَشْرِقَيْنَ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنَ) (الإرثمن: 17) و (يَا لَيْتَ بَنِي وَبِنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقِيِّنَ) (المزخرف: 38)، قدم المستاذ خالد مدني محاولة موفقة لتفسير القرآن بالقرآن إذ اعتبر أن هذين المشرقيين هما مشرق الشمس كما ذراها آن ومسرقها مرة أخرى حين تطلع من مغربها قبيل يوم القيمة، واعتبر أن أبعد مسافة بين هذين المشرقيين هي نصف محيط الكورة الأرضية حوالي 20 ألف كيلومتراً، وحيث إن الأمر قابل للنقاش من وجهة نظر تبادل وتضاد الأفكار، فإني أرتايت كفلاكي مهمتم بأمور الإعجاز الفلكي الكوني في القرآن بأن أضيف بعض الملاحظات والمسؤوليات التي ربما تشي بالموضع فيستفيد منها القارئ المهمتم وربما المكاتب - كذلك، ولما أقصد أن التفسير المقدم هو تفسير خاطئ بل إنه موفق تماماً في المطروح.

1- يمكن من خلال الآيات الثلاث التي تحدثت عن المشرق والمغرب والمشرقيين والمغاربيين والمشارق والمغارب أن تستدل ببساطة على أن المشرق والمغرب هما موقع شروق الشمس وغروبها يومي الماعتدلين، وأن المشارق والمغارب هي مشارق الشمس ومغاربها المختلفة كل يوم عن اليوم الذي يليه، وأن المشرقيين والمغاربيين هما مشرقاً الشمس ومغاربها يومي الانقلابين الصيفي والشتوي إذ المسافة بين كل منهما أبعد ما تكون.

2- يمكن أن نذهب في تفسير هذه الآية إلى أبعد مما نتصور، فالأخ باسل المرياحي من فلسطين قد وضع كتاباً اسمه (نجم المشعر) يثبت فيه بالأدلة المختلفة بأن المقصود بآية رب المشرقيين ورب المغاربيين هو ما يراه المرصد من على سطح الكوكب الذي يدور حول نجم الشعري اليمانية ومراقبه النجم المقيم وأنه يرى شروقين مختلفين كل يوم وغروبين، وقد أورد الكثير من الأدلة لإثبات صحة استنتاجه هذا.

وهناك من رأى بأن هذين المشرقيين والمغاربيين هما مشرقاً ومغارباً كوكب بروكسيما قنطروس الذي يدور حول أقرب نجوم مجرة إلينا وهو نجم ألفا قنطروس أو رجل قنطروس وهو نجم ثانٍ يرى واضحاً من وراء عدسة التلسكوب ويبعد عنا 4.3 سنة ضوئية، فالكوكب إذاً يدور حول نجمين في آن واحد وبذلك تطلع عليه شمسان وتغربان.

لكن ذلك لا يعني أنني أوافق المذهب في تفسير الآية إلى كل ذلك المبعد، إذ إننا لسنا مضطرين له، وعلى الأقل في وقتنا الحاضر، فنحن نعيش على الأرض ولن يموت أحد من الناس مهما تقدم العلم وسافرنا في الفضاء إلا ويعود ليدفن فيها كما قرر ربنا في كتابه العزيز (مِنْ دَاخَلِنَّ الْكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْ مَا نُحْرِجُكُمْ ثَارَةً أَخْرَى طه: 55)، فافتراض وجود كوكب يدور حول نجمين يجرنا على افتراض أننا سنعيش يوماً ما على سطح هذا الكوكب حتى تشرق علينا شمسان وتغربان، ولتحقيق بذلك تفسير واضح ومبادر للآية.

لكننا إذا أردنا المذهب إلى ذلك الاحتمال فإننا سنتحدث عن وصول الإنسان إلى ذلك المكان غير أكيد الطبيعة المناسبة لاستكشافه من قبل العلماء، ولماذا نستكشفه أصلاً ونحن لم نكمل حتى استكشاف ياقि كواكب المجموعة الشمسية، خصوصاً وأن قدراتنا العلمية لم تصل برواد المفضاء إلى آن لأن يكون من الممكن، فكيف ستعمل مع كوكب يبعد عنا 40 ألف ميلار كيلومتراً كوكب ألفا قنطروس أو مع كوكب سيبعد عنا أكثر من ضعف هذا المبعد ككوكب الشعري اليمانية، إما إذا تطورت قدراتنا التكنولوجية الصاروخية تطوراً هائلاً أو أن تكون النظريات الكونية اكتشفت لنا طرفاً جديدة عبر المجرات والنجوم؟ فلماذا لا ندع الآية تتحدث عن نفسها في ذلك الزمان تحملها ما لا تطيق (الآن على الأقل).

3- ليس من الممكن أن تكون المسافة بين المشرقيين نصف محيط الكورة الأرضية في آية لحظة على الكورة الأرضية إما إذا كان المرصد يعيش في مركز وباطن الكورة الأرضية، ومع ذلك ستكون المسافة هي قطر الكورة وليس نصف محطيها، فالموقع الطبيعي لأي إنسان أن يعيش على السطح وليس في الداخل، والشمس ترى طالعة أو غاربة عن ما يعرف بالافق الظاهري للأرض وليس أفقها الحقيقي من باطنها، فالافق الظاهري هو مماس الكورة الأرضية من نقطة المرصد والمسافة بين مشرق المرصد ومغربه هي في آية أرض مستوية هي 26 كيلومتراً، وتزيد بالارتفاع، فإذا وقفت على تلة علوها 100 متر فقط فإن بعد الأفق يزداد حتى يصل 40 كيلومتراً يمنة و 40 كيلومتراً يسرة.

أما إذا اعتبرنا بعد المشرقيين الظاهريين يومي الانقلابين الصيفي والشتوي فإن المسافة بينهما تختلف باختلاف خط عرض المرصد على الكورة الأرضية وأقلها 47 درجة عند خط الاستواء وتزداد شمالاً أو جنوباً إلى أن تصبح 360 درجة عند خط عرض 66.5° شمالاً وجنوباً، وبما المكانان اللذان تغيب الشمس بعدهما طوال اليوم أو تشرق طوال اليوم.

4- لماذا ربط المكتب بين انكماش الكون كما تطرح إحدى النظريات الكونية وبين تغير اتجاه دوران الأرض فهل يغير انكماش اتجاهه

المدوران؟ فالمانكماش سيكون على مستوى المجرات وليس على مستوى النجوم ولا المكواكب فلما داعي إذا أن تغير الأرض من طريقة دورانها حول نفسها.

٥- وهل يفهم من ذلك أن الجنس البشري العاقل سيبقى حيا إلى عدة مليارات من السنين القادمة حتى ينكمش الكون، بالرغم من علمنا بالحديث الصحيح الذي يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم: (بعثت وال الساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى) وأن حياة الإنسان كما يقدراها العلم لا تتجاوز (إن تجاوزنا نحن عن المرقم) المليون سنة؟

٦- جميل أن المكاتب لم يتعرض إلى الكيفية التي ستغير فيها الأرض طريقة دورانها، أو بتغيير آخر طلوع الشمس من المغرب، فلنسأ نعلم إطلاقاً حتى هذا العصر تلك الكيفية ما لم يرتكم نيزك أو مذنب بالأرض فيبطئها ثم يغير من اتجاهه دورانها، لكن مثل هذا المارتطام يجب أن يكون مماسياً وأن يكون اتجاه المارطام يعكس اتجاه دوران المكرة الأرضية. لكن هل ستسلم المكرة الأرضية من هذا المارطام بأن لا يبال نصف سكانها أو حتى كلهم جراءه؟ وإن حدث ولم يتضرر الناس فإنهم سيبداون بعيش أيام مليال تطول شيئاً فشيئاً حتى تتوقف الأرض ثم تأخذ بالاتجاه المعاكس، ومع ذلك فإن ذلك ينفي الحديث مرة أخرى لأن طلوع الشمس لن يستمر لأكثر من يوم واحد ثم تعود فتطلع من شرقها كما كانت. إذا فالامر ليس بالسهل أبداً.